کتابخانه و مرکز اطلاع رسانی
بنیاد دایرة المعارف اسلامی

التراث العربي

مجلة فصلية محكمة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

العدد: (101)-(المحرّم)-1427 هـ=(كانون الثاني)2006- السنة السادسة والعشرون

المدير المسؤول
د.حسين جمعة

رئيس التحرير
د.محمود الربداوي

مدير التحرير:
فادية غيبور

هيئة التحرير:

د . وهبة الزحيلي
د . علي أبو زيد
د . شوقي أبو خليل
د . أحمد الحصري
د . نبيل أبو عمشة
د . عبد اللطيف عمران
د . وليد مشوح

□ المراسلات باسم أمانة التحرير:
اتحاد الكتاب العرب، مجلة التراث العربي، دمشق - ص.ب (3230) تلكس: (6117244)

البريد الالكتروني: E-mail: unecriv@net.sy
aru@net.sy

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت:
www.awu-dam.org

المحتوى:

صـ

- وديعة التراث العربي في تركيبة/اول الكلام..... رئيس التحرير 7
- التشكيل اللغوي في شعر الأمير عبد القادر الجزائري..... د.وهب رومية 13
- غوامض الصحاح..... د.عبد الإله احمد نبهان 47
- بين فتيا فقيه العرب والملاحن..... غازي طليمات 65
- الاستفهام المجازي في كتاب (الصاحبي) لابن فارس..... د.منيرة ناصور 75
- علماء مسلمون/ الحسن بن الهيثم..... د.احمد حصري 96
- روضنا اللغة والشعر في الجامع لاحكام القرآن - سورة البقرة تحديداً - القرطبي..... ياسين الأيوبي 98
- الإسلام والبيئة..... مصطفى العلواني 126
- الموازنة بين المعتمد وشاعريه الأنيرين..... د.دياب راشد 140
- علماء اللغة بين الآراء والمواقف..... لخضر لعسال 158
- في إرهاصات المصطلح النقدي القديم - الفحولة نموذجاً -..... د.حمود حسين يونس 172
- الحكمة وتطورها في شعر ابي تمّام..... د.هاشم صالح مناع 188
- القاعدة النحوية في ضوء تقييدها بامن اللبس او خشية الوقوع فيه..... د.إبراهيم محمد عبد الله 207
- صورة الناقة في النص الجاهلي..... د.عبد العالي بشير 232

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

- لمحات من الاتصال العلمي عند المسلمين على ضوء إجازة لرواية الحديث من القرن 12هـ.....
د.محمد إبراهيم حسن محمد 244

- التسجيع المنطابق: الإجراء والائتلاف والجمال.....
ا:زهية مرابط 255

- الاستاذ يوسف الصيداوي.. نمط لا يُنسى.....
محمد حسان الطيان 270

- أخبار التراث.....
ا.فادية غيبور 275

إلى الكتّاب الكرام...

ستصدر مجلة التراث العربي عدداً أو ملفاً بمناسبة كون (حلب عاصمة الثقافة الإسلامية سنة 2006) فالرجاء ممن يجد في نفسه الرغبة في الكتابة في هذا الموضوع، وليس هناك شرط سوى أن يكون الموضوع تراثياً ويضيف جديداً إلى محاور هذه الظاهرة الثقافية.

علمـــاء اللّغـــة العربيّـــة
بـين
الآراء و المواقف

إعداد : لخضر لعسال(*)

تمهيد:

قد يكون من الجرأة أن يقرّ المرء بأنّ مناهج البحث الحديثة دافع قويّ للمراجعة ومحـــرّك فعّال للتنقيب في التراث بقناعة، فإن تسلّح الباحث المقدم على ذلك بصـــبر شـــديد يـــريح النفس من الشعور بالاضطراب والحيرة في غالب الأحيان التي يدار أمامه الحـــديث عـــن موضوع اللّغة العربيّة، ومتى وجدت فرصة نقاش مصادرها وأصولها، فلئن حالفه الحـــظّ في الوقوف عند ما يثلج الصدر ويعين الفكر، ويصحّح اتجاه الأذهـــان، ويقـــيم الصـــرح اللّغويّ لهذه المنطوقة بألسن مرّت عليها الدهور، وكابدتها العصـــور، لـــذلك مـــن خيـــر الأمور. ولعلّها من اللّغات النادرة الوجود التي لا تبرح تصارع وتقاوم، وما لها من نصير إلاّ ممّن رضع برضابها العصير، وليس ممّن ران على ألسنتهم صدأ الضرائر الكدر، وأبي إلاّ أن يكابر.

إنّها لغة العرب التي جمعت في صحف مطهّرة، لا يستطيع كلّ البشر أن يمسّوا منها جـــزءاً ولو كان يسيرا، فما على من يعاديها إلاّ الاعتراف والوقوف وقفة الحقّ بالشهادة الصـــادقة بفضـــلها وريادتها، ولكن ما لأبنائها صادّين؟ وعن حماها غافلين؟

ولأجل أن يكون لنا نصيب من تلك الجرأة بدا لنا العودة إلى جمع بعـــض الآراء والمواقـــف

* أستاذ جامعي جزائري.

التي تشكّل نواة الاختلاف الذي يمكنّنا من الفائدة العلميّة التي تجعل هذه اللّغة باقية مع مرّ الزمن، وذلك الاختلاف لا ينقص من شأنها شيئاً، بل يرفعه بفتح مساحة البحث المستمرّ. فكان البدء بتسجيل آراء العلماء في بعضهم سلباً أو إيجاباً مع تناقضها، ثم تعقيبها بمواقف بعضهم الآخر تجاه غيره. وبذلك يتأكّد لنا تبكير علماء العربيّة بحريّة الرأي والموقف في غالب الأحيان، ولو كان في أحيان أخرى من هذا ما يدلّ على التعصّب والمخالفة ليس إلاّ.

وما نجنيه نحن اليوم من كلّ ذلك هو الاستفادة ممّا يعيننا في استغلال الهفوات والسقطات لتجنّبها، والدفع بهذه العربيّة إلى الاستمرار في الوجود، وتمكينها من متابعة علوم العصر بدون أيّ عقدة. وذلك بأن نوظّف منها ما يصلح ولا نكثر الجدال فيما لا ينفع، وترك مجال حرّية البحث مفتوحاً ليتبيّن خيط الحقيقة من زبدها. ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جفاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ [٢]

وليس جمع بعض الآراء والمواقف الصادرة من علمائنا الأجلاّء إلاّ لمحة إلى الدعوة إلى ضرورة التنبّه عند نقلها منفردة حتّى لا يظلم أيّ منهم في أيّ مجال علميّ من مجالات علوم العربيّة، واستحسان التريّث وعدم التسرّع في إصدار الأحكام المتسرّعة التي قد تضرّ بتراثنا. ومن أجل ذلك ارتأيت أن يكون هذا المقال مارّاً عبر ثلاثة عناصر هي:

١ــ آراء بين النقد والطعن.

٢ــ مواقف بين الخوف والزيف.

٣ــ شهادات واعترافات.

فرجائي كبير أن تكون هذه العبارات المختلفة والمنقولة هامّة نافعةً في تحريك أعين الباحثين للاطّلاع والاكتشاف وتحقيق المزيد ممّا تزخر به، ولا شكّ في أنّها وفيرة مخبّأة بين طيّاتها تحتاج إلى من يظهرها لمن يجد فيها ما يريد. إذ أنّ ما جاء في هذا الوطن من الصفحات غيض من فيض بالنظر إلى ثراء تراثنا العلميّ من النوادر والمجالس والأمالي والمعاجم والموسوعات والشروح المختلفة والمتنوّعة.

أوّلاً: بين النقد والطعن:

إنّها آراء متضاربة ومختلفة، بل إنّها قد تكون متضادّة، لأنّك تجد رأياً لعالم في آخر، ثم يأتي فيناقضه ويميل إلى معارضه، وهنا يمكن عرض قضيّة مراجعة اللغّة العربيّة على البحث العلميّ الحديث، للوقوف عند الأسلم منها والأفيد للسان اليوم للخروج من دائرة الخلاف المسيء لها، وخاصّة أنّ هناك إشارات إلى الهفوات والأغلاط بصريح العبارة في كثير من الأحيان عبر ما نقلته المعاجم الموسوعيّة كلسان العرب، وأنّه في غالب الأمر أنّك تجد الرأي مبنيّاً على مبدأ (الثقة)، ولذلك صُنّف

[٢] ــ سورة الرعد من الآية ١٧ .

العلماء في طبقات. والسؤال الممكن هو: ما هو المقياس الحقّ لأن يحوز الشخص مبدأ (الثقة)؟

وما يسجّل من سوابق البحث العلميّ المبنيّ على الحجّة والبرهان المقبول ما بدا من ابن جنّي [٣] بتعليله للقضايا ومناقشته للآراء بعقل مفتوح وهدوء رزين من كلّ الأوجه بعيداً عن أيّ تعصّب ظاهر إلاّ من باب النقد العلميّ، وهو يعدّ تلك الاختلافات مصدراً هامّاً في الدراسة اللّغوية حيث يقول: "وإذا كانت هذه المناقضات والمثاقفات موجودة بين السلف القديم، ومن باء فيه بالمنصب والشرف العميم، ممّن هم سُرُج الأنام، والمؤتّم بهديهم في الحلال والحرام، ثمّ لم يكن ذلك قادحاً فيما تنازعوا فيه، ولا غاضّاً منه، ولا عائداً بطرف من أطراف التبعة عليه، جاز مثل ذلك أيضاً في علم العرب الذي لا يخلُص جميعه للدّين خلوصَ الكلام والفقه له" [٤]. فعلماء العرب عنده مصدر ثقة مع اختلاف آرائهم، وليس في ذلك مانع من التعلّم منهم، إن كان منهم ما يصلح الاحتجاج به.

ومن الذين تعرّضوا للطعن رواد اللّغة العربيّة كسيبويه [٥] والأخفش [٦] إذ "قال أبو حاتم [٧]: ولا تقول العرب: الكلّ ولا البعض، وقد استعمله الناس حتّى سيبويه والأخفش في كتبهما لقلّة علمهما بهذا النحو، فاجتنب ذلك فإنّه ليس من كلام العرب" [٨]. ولم يتوقّف عند هذين العلمين فقط بل طعن في مجموعة أخرى من المدرستين ومن الرواة الكبار، ويبيّن من هم أهل ثقة عنده ليظهر منبع مصادره العلميّة في مكان آخر جاء حيث "قال: فإذا فسّرت حروف القرآن المختلف فيها، أو حكيت عن العرب شيئاً فإنّما أحكيه عن ثقات منهم، مثل أبي زيد [٩] والأصمعيّ [١٠] وأبي عبيدة [١١] ويونس وثقات فصحاء الأعراب وحملة العلم، ولا ألتفت إلى رواية الكسائيّ [١٢] [١٣] والأحمر [١٤] والأمويّ [١٥] والفراء [١٦] ونحوهم، وأعوذ بالله من شرّهم". [١٧] فهو هنا يجاهر بخلافه لمجموعة

---

(٣) ــ هو أبو الفتح عثمان بن جنّي، من أشهر تلامذة أبي علي الفارسيّ، له كتب كثيرة أشهرها الخصائص والمنصف شرح تصريف المازني وسرّ صناعة الإعراب، وشرح ديوان المتنبّي، توفّي سنة ٣٩٢هـ.

(٤) ــ الخصائص ٣ /٣١٢ .

(٥) ــ هو أبو بشر عمرو بن قنبر، صاحب الكتاب المشهور في لغة العرب، توفّي حوالي ١٨٠هـ.

(٦) ــ هو سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط، ناقل كتاب سيبويه، تـ حوالي ٢١٥هـ.

(٧) ــ هو أبو سعيد سهل بن محمد، توفي سنة ٢٥٥هـ.

(٨) ــ اللسان ٧ /١١٩ .

(٩) ــ سعيد بن أوس الأنصاريّ، تـ حوالي ٢١٥هـ. الفهرست ص ٢٤٦ .

(١٠) ــ هو أبو سعيد عبد الملك بن قُريب تـ ٢١٥هـ عن ثمان وثمانين سنة. الأعلام ٤ /١٦٢ .

(١١) ــ هو أبو عبيدة معمر بن المثنى، توفّي سنة ٢٠٩ أو ٢٠٨ أو ٢١١هـ، بغية الوعاة ٢ /٢٩٤ .

(١٢) ــ هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب، مات حوالي ١٨٣هـ الفهرست ص ١٩٧ .

(١٣) ــ هو عليّ بن حمزة بن عبد الله، من القرّاء السبعة من أهل الكوفة، توفي حوالي ١٨٩ أو ١٨٧هـ.

(١٤) ــ هو خلف بن حيان عرف بانتحال شعر العرب وينسبه إلى نفسه. الفهرست ص ٢٢٦ .

(١٥) ــ هو عبد الله بن سعيد، وله من الكتب: كتاب النوادر وكتاب رحل البيت. الفهرست ص ٢٢١ . لم يذكر تاريخ وفاته.

(١٦) ــ هو أبو زكريا يحيى بن زياد أخذ عن الكسائيّ النحو والقراءات، تـ ٢٠٧هـ.

(١٧) ــ مراتب النحويّين لأبي الطيب اللغوي ص ١٤٣ .

معيّنة مذكورة بالاسم بعد أن أشار إلى ثقته بآخرين من الفصحاء والعلماء. ولكنّ الكسائيّ عند ابن جنّي ثقة حيث قال عنه: "وكان هذا الرجل كثيراً في السداد والثقة عند أصحابنا". [١٨] وجاء في المزهر حديث عن سيبويه أنّه "أخذ النحو عن الخليل جماعة لم يكن فيهم ولا في غيرهم من الناس مثل سيبويه. وهو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل". [١٩] وعن الكسائيّ أنّه "كان عالم أهل الكوفة غير مدافَع.. وأجمعوا على أنّه أكثر الناس رواية كلهم وأوسعهم علما". [٢٠]

وهاهو من طعن في أبي حاتم السجستاني نفسه ورَدّ عليه، قال: "وقرأ عاصم [٢١]: شَنْآن، بإسكان النون، وهذا يكون اسما كأنّه قال: ولا يجرمنّكم بغيض قوم. قال أبو بكر [٢٢]: وقد أنكر هذا رجل من أهل البصرة يُعرف بأبي حاتم السجستانيّ معه تعدٍّ شديد وإقدام على الطعن في السلف. قال: فحكيت ذلك لأحمد بن يحيى [٢٣]، فقال: هذا من ضيق عَطَنه وقلّة معرفته، أما سمع قول ذي الرمّة [٢٤]:

فأُقْسم لا أدري أجَوْلانُ عَبْرةٍ تجودُ بها العينان أحرى أم الصَّبْرُ

قال: قلت له هذا وإن كان مصدراً ففيه الواو. فقال: قد قالت العرب: وَشْكان ذا إهالةٍ وحَفْنا، فهذا مصدر وقد أسكنه" [٢٥].

ولكنّ ابن النديم [٢٦] ينقل ما في شأنه خلاف ذلك عن المبّرد [٢٧] يتحدّث عن السجستاني قال: "كان حسن المعرفة بالعروض، كثير التأليف للكتب في اللّغة، يقول الشعر، صادق الرواية، وعليه اعتمد أبو بكر بن دريد [٢٨] في اللغة" [٢٩]. وقال عنه ابن جنّي أيضاً: "ولم نر أحداً من أشياخنا فيها كأبي حاتم..". [٣٠] وفي المزهر للسيوطي أنّه "كان في نهاية الثقة والإتقان والعلم الواسع بالإعراب،

---

(١٨) ـ الخصائص ٢ /٩٠.
(١٩) ـ ٢ /٤٠٥.
(٢٠) ـ المزهر ٢ /٤٠٧.
(٢١) ـ هو أبو بكر أبي النجود، أحد القرّاء السبعة، تـ ١٢٨هـ. الفهرست ص ١٤٣. و(شنآن) من قوله تعالى: ﴿وهو لا يجرمنّكم شنآن قوم أن صدّوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾ و﴿ولا يجرمنّكم شنآن على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾. سورة المائدة، من الآيتين ٢ و٨ على الترتيب.
(٢٢) ـ هو أبو بكر محمد بن القاسم، أخذ عن أبيه وعن ثعلب، تـ ٣٢٨هـ. الفهرست ص ٣٣٨.
(٢٣) ـ وهو المعروف محمد بن القاسم، أخذ عن أبيه وعن ثعلب، تـ ٢٩١هـ. الفهرست ص ٣٣٤.
(٢٤) ـ هو أبو الحارث غيلان بن عقبة العدويّ، شاعر إسلاميّ، توفّي سنة ١١٧هـ. الشعر والشعراء ١ /٥٠٦.
(٢٥) ـ اللسان ١ /١٠١.
(٢٦) ـ صاحب كتاب الفهرست، توفّي سنة ٣٨٠هـ.
(٢٧) ـ هو أبو العبّاس محمد بن يزيد الأزدي البصريّ، الملّقب بالمبّرد، من مؤلّفاته الكثيرة: الكامل والمقتضب، توفّي عام ٢٨٥هـ.
(٢٨) ـ صاحب جمهرة اللّغة وكتاب الاشتقاق، توفّي سنه ٣٢١هـ.
(٢٩) ـ الفهرست ص ٢٦٣.
(٣٠) ـ الخصائص ١ /٢٤٤.

وكتبه في نهاية الاستقصاء والحسن والبيان، وزعموا أنّه كان يُظهر السّنة ويضمر الاعتــزال". [٣١] ولعلّ هنا إشارة إلى أحد أسباب الطعن وهو الاتّجاه المذهبيّ للسجستانيّ.

وطُعن الأصمعيّ الذي نقل الكثير من الشعر العربيّ لقوّة حفظه، ومع ذلك فلآخرين رأي فيه حيث "كان أبو عبيدة إذا ذكر الأصمعيّ قال: ذلك رجل نُتِفَة" [٣٢] أي لم يستقص كلام العرب. وعنه أيضاً. "قال الفرّاء:.. ولم يكن الأصمعيّ نحويّاً" [٣٣].

ولكن لآخرين رأي مخالف تماماً، لأنّ الأصمعيّ ورد ضمن الطبقة الثانية عند الأزهريّ [٣٤] صاحب كتاب تهذيب اللّغة مبرزاً إشادة العلماء به واعترافهم بفضله في الحفظ والرواية.

وهو الرأي نفسه عند ابن جنّي حين ظهر مدافعاً عنه ورافعاً تصحيفه "قول الحطيئة [٣٥]:

وغررتَنـــي وزعمـــت أنّـــ كَ لابـــنٌ فـــي الصـــيف تـــامرُ

فأنشده: لا تَني بالضيف تامرُ، أي: تأمر بإنزاله وإكرامه. وتبعد هذه الحكاية في نفسي لفضل الأصمعيّ وعلوّه، غير أنّي رأيت أصحابنا على القديم يسندونها إليه ويحملونها عليــه". [٣٦] وينقــل السيوطي أنّ "الأصمعيّ كان أتقنَ القوم باللّغة وأعلمهم بالشعر وأحضرهم حفظاً". [٣٧] ونقــل كــذلك في شأنه عن أبي الطيّب اللّغويّ أنّه قال: "ولم يَرَ الناسُ أحضرَ جواباً وأتقــن لمــا يحفــظ مــن الأصمعيّ"[٣٨]. ثم يشير إلى بعض المنافسة بين هؤلاء العلماء بالقول "وكان أبو زيد وأبــو عبيــدة يخالفانه ويناوئانه كما يناوئهما، فكلّهم كان يطعن على صاحبه بأنّه قليل الرواية، ولا يذكره بالتزوير ولا يتّهم أحدهم صاحبه بالكذب، لأنّهم يبعدون عن ذلك"[٣٩].

ومن جهة أخرى نعثر على رأي في أبي عبيدة الذي أنقص من شأن الأصمعيّ حيث "قال أبو الهيثم: [٤٠] وكان أبو عبيدة صاحب أخبار وغريب ولم يكن له معرفة بالنحو". [٤١] وهو مــا يثبتــه

---

(٣١) ــ اللّسان ٢ /٤٠٨.

(٣٣) ــ اللسان ٧ /٣١٤.

(٣٤) ــ هو أبو منصور محمد بن أحمد (٢٨٢ ــ ٣٧٠هـ).

(٣٥) ــ شاعر مخضرم بين الجاهلية والإسلام كان مذبذب الإسلام، سليط اللّسان في هجائه، توفّي سنة حوالي ٥٥ ٥ ٦٧٧م أو ٤٥هـ / ٦٦٥م. الأعلام ٢ /١١٨.

(٣٦) ــ الخصائص ٣ /٢٨٢.

(٣٧) ــ المزهر ٢ /٤٠٣.

(٣٨) ــ المزهر ٢ /٤٠٤.

(٣٩) ــ نفسه.

(٤٠) ــ توفي في ٢٧٦هـ.

(٤١) ــ اللسان ٤ /٤٧٥.

ثعلب [٤٢] بقوله: "كان أبو عبيدة يرى رأي الخوارج وإذا قرأ القرآن قرأه نظراً، وله غريب القرآن ومجاز القرآن، وكان مع معرفته إذا أنشد بيتاً لم يقم بإعرابه. ولمّا مات لم يحضر جنازته أحد لأنّه لم يكن يسلم منه شريف ولا غيره". [٤٣] وكذلك قال عنه أبو عثمان المازنيّ [٤٤]: "إنّ أبا عبيدة أجفى من أن يعرف مثل هذا" [٤٥].

و(هذا) هنا في هذه العبارة هي قضيّة دخول علامة التأنيث على علامة تأنيث بحيث يرفضها النحاة، وذلك ما كان أبو عبيدة يستغربه لوجود أمثلتها عنده نحو: بُهْمى وبُهْماة، والتي يعتبرها ابن جنّي من باب عكس التقدير أو اختلاف التقديرين في حالين مختلفين كما هو عند أبي عثمان [٤٦]، إذ يرى أنّ ألف بهمى للتأنيث وعندما تلحقها تاء التأنيث يتحوّل الحكم إلى اعتبار الألف للإلحاق. [٤٧] والأزهريّ يرى فيه ذلك إذ قال:

"وأبو عبيدة صاحب معرفة بالغريب وأيّام العرب، وهو بليد النظر في باب النحو ومقاييسه".[٤٨] فكلّها آراء تعترف بقدرة أبي عبيدة بمعرفة الغريب والأخبار ولكنّه ليس قويّاً في علم النحو.

ويبدو أنّ طريقة تصنيف كتب التراجم والأعلام في (طبقات) تدلّ على التفضيل ما بين العلماء والشعراء والرواة. فقد قال الأزهري في مقدّمة تهذيبه: "وإذا فرغنا من ذكر الأثبات المتقنين والثقات المبرِّزين من اللّغويّين.. فلنذكر بعقب ذكرهم أقواماً اتّسموا بسمة المعرفة وعلم اللّغة.. فمن المتقدّمين: اللّيث بن المظفّر [٤٩] الذي نحل الخليل بن أحمد [٥٠] تأليف كتاب العين جملةً ليُنفّقه باسمه ويرغب فيه مَن حوله" [٥١]. ثمّ يعرض طعن العلماء فيه ممّا دفعه إلى تتبّع موادّ هذا الكتاب، فيذكر دوره في تنقيحه وتصويبه بالتنبيه في المكان المناسب من كتابه. ويؤكّد هذا الرأي في مناسبة أخرى جاء فيها "قال اللّيث: التوأم ولدان معاً، ولا يقال: هما توأمان، ولكن يقال: هذا توأم هذه وهذه توأمته، فإذا جمعا فهما توأم. قال أبو منصور [٥٢]: أخطأ اللّيث فيما قال، والقول ما قال ابن السكّيت [٥٣]،

---

(٤٢) ــ هو أبو العبّاس أحمد بن يحيى، توفّي سنة ٢٩١هـ.

(٤٣) ــ الفهرست ص ٢٣٨.

(٤٤) ــ هو أبو عثمان بكر بن محمد بن بقية، صاحب كتاب التصريف الذي شرحه ابن جنّي، توفي سنة ٢٤٧هـ، وقيل ٢٤٩.

(٤٥) ــ الخصائص ١ /٢٧٣ ولسان العرب ٤ /١٤ (أخر).

(٤٦) ــ هو المازنيّ المذكور.

(٤٧) ــ يراجع الخصائص ١ /٢٧٣، ولسان العرب ٤ /١٤ (أخر).

(٤٨) ــ اللسان ١٥ /٥٩.

(٤٩) ــ كان مصاحباً للخليل يتتلمذ عليه حتّى قيل بأنه هو الذي نقل كتاب العين. الفهرست ص ٢٠٢. ولم يذكر تاريخ وفاته.

(٥٠) ــ المعروف بالفراهيدي أو الفرهوديّ، مؤسّس علم العروض وعلم المعاجم، وهو أستاذ كثير من العلماء أشهرهم سيبويه، توفي سنة ١٧٠هـ وقيل: ١٧٥هـ.

(٥١) ــ تهذيب اللغة ١ /٢٨ و٢٩.

(٥٢) ــ هو الأزهري المذكور.

وهو قول الفرّاء والنحويّين الذين يوثق بعلمهم، قالوا: يقال للواحد توأم، وهما توأمان إذا ولدا في بطن واحد". (٥٤)

وقال ابن جنّي عن اللّيث صاحب العين: "وذاكرت أبا عليّ (٥٥) ــ رحمه الله ــ يوماً بهذا الكتاب فأساء نَثَاه" (٥٦). أي وصفه وذكره. ويؤكّد ابن جنّي نفسه رأيه فيه مرّة أخرى قائلاً: "وأمّا كتاب العين ففيه من التخليط والخلل والفساد ما لا يجوز أن يُحمل على أصغر أتباع الخليل فضلاً عن نفسه، ولا محالة أنّ هذا التخليط لحق هذا الكتاب من قبَل غيره" (٥٧). ولكن في الفهرست (٥٨) ما يخالف ذلك ليدّل على فضله حيث ورد فيه "وكان اللّيث من الفقهاء والزهّاد" (٥٩). ومن المعروف أنّ الليث بن المظفّر كان الطريق الوحيد إلى كتاب العين المنسوب إلى الخليل بن أحمد، لأنّه أخذ عليه وصحبه زمناً إلى آخر حياته حتّى نقل عنه هذا الكتاب الشهير بين أهل العلم بالرغم ممّا قيل فيه. ويحتمل أن يكون ذلك الخلط في كتاب العين بسبب تصحيف النسّاخ والورّاقين، وما أدخل عليه ممّا ليس من الأصل.

وقال الأزهريّ بعد ذلك عن قطرب (٦٠): "وكان متَّهماً في رأيه وروايته عن العرب. أخبرني أبو الفضل المنذريّ (٦١) أنّه حضر أبا العبّاس أحمد بن يحيى (٦٢) فجرى في مجلسه ذكر قطرب، فهجّنه ولم يعبأ به" (٦٣) وقال عنه كذلك: "وقطرب ليس من الثقات" (٦٤).

ولكن لابن النديم رأي عكس ذلك حين قال عنه: "وكان ثقة فيما يحكيه". (٦٥) وفي المزهر أنّه "كان حافظاً للّغة كثير النوادر والغرائب". (٦٦) وعن ابن مسلم الدينوريّ المعروف بابن قتيبة (٦٧) قال الأزهريّ: "وما رأيت أحداً يدفعه عن الصدق فيما يرويه عن أبي حاتم السِّجْزيّ (٦٨)، والعبّاس بن

---

(٥٣) ــ هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السِّكّيت توفي سنة ٢٤٤هـ.
(٥٤) ــ اللسان ١٢ /٦٢ .
(٥٥) ــ هو أستاذ ابن جنّي أبو عليّ الفارسيّ، ٣٧٧هـ.
(٥٦) ــ الخصائص ٣ /٢٠٠ و٢٩١ .
(٥٧) ــ المصدر نفسه ٢٩١ .
(٥٨) ــ كتاب ابن النديم.
(٥٩) ــ الفهرست ص ٢٠٢ .
(٦٠) ــ هو محمد بن المستنير تلميذ سيبويه، تـ ٢٠٦هـ.
(٦١) ــ هو أبو الفضل محمد بن أبي جعفر المنذريّ الهرويّ أحد شيوخ الأزهريّ، توفّي سنة ٣٢٩هـ، أخذ عن ثعلب والمبرّد.
(٦٢) ــ هو ثعلب المذكور.
(٦٣) ــ تهذيب اللغة ١ /٣٠ .
(٦٤) ــ اللسان ٥ /٣٣٩ .
(٦٥) ــ الفهرست ص ٢٣٩ .
(٦٦) ــ ٢ /٤٠٥ .
(٦٧) ــ هو أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوريّ، عاش ما بين ٢١٣ و٢٧٠هـ. الفهرست ص ٢٤٧ و٢٤٨ .
(٦٨) ــ نسبة إلى سجستان كما يقال: السجستانيّ. ــ توفي سنة ٢٥٠هـ أو ٢٥٥ .

الفرج الرياشي [٦٩]، وأبي سعيد المكفوف البغداديّ [٧٠].

فأمّا ما يستبدّ فيه برأيه من معنى غامض أو حرف من علل التصريف والنحو مشكل، أو حرف غريب، فإنّه ربّما زلّ فيما لا يخفى على من له أدنى معرفة. وألفيته يَحدِس بالظنّ فيما لا يعرفه ولا يحسنه. ورأيت أبا بكر بن الأنباريّ [٧١] ينسبه إلى الغفلة والغباوة وقلّة المعرفة". [٧٢] فابن قتيبة ثقة في ا لرواية وضعيف في الدراية. ولعلّ السبب راجع إلى أنّه "قد خلط علمه بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها عن ثقات" [٧٣].

وقال عن ابن دريد صاحب معجم جمهرة اللغة: "وممّن ألّف في عصرنا الكتب فوُسم بافتعال العربيّة وتوليد الألفاظ التي ليس لها أصول، وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزديّ صاحب كتاب الجمهرة وكتاب اشتقاق الأسماء، وكتاب الملاحن حضرته في داره ببغداد غير مرّة، فرأيته يروي عن أبي حاتم، والرياشيّ، وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ، فسألت إبراهيم بن محمد بن عرفة الملقّب بنفطويه [٧٤] عنه فاستخفّ به، ولم يوثّقه في روايته. ودخلت يوماً عليه فوجدته سكران لا يكاد يستمرّ لسانه على الكلام من غلبة السكر عليه، وتصفحت؛ كتاب الجمهرة له فلم أره دالاً على معرفة ثاقبة، وعثرت منه على حروف كثيرة أزالها عن وجوهها" [٧٥]

وقد شكّ السيوطي [٧٦] في هذا الرأي مدافعاً عن ابن دريد قائلاً: "معاذ الله، هو بريء ممّا رمي به، ومن طالع الجمهرة رأى تحرّيَه في روايته.. ولا يقبل فيه طعن نفطويه، لأنّه كان بينهما منافرة عظيمة، بحيث إنّ ابن دريد هجاه بقوله:

لو أُنزل الوحيُ على نفطويه ... لكان ذاك الوحي سخطا عليه

وشاعر يدعى بنصف اسمه ... مستأهل للصفع في أخدعيه

أحرقه الله بنصف اسمه ... وصَيَّرَ الباقي صراخا عليه

وهجا هو ابن دريد بقوله:

---

[٦٩] ــ *عاش بين ١٧٧ و٢٥٧هـ. قتل عند دخول الزنج إلى البصرة.*

[٧٠] ــ *يذكره الأزهريّ ضمن الطبقة الثالثة دون أن يشير إلى وفاته. التهذيب ١ /٢٤.*

[٧١] ــ *هو محمد بن القاسم، أخذ النحو عن ثعلب، توفّي حوالي ٣٢٨هـ. الفهرست ص ٣٣٨.*

[٧٢] ــ *التهذيب ١ /٣١.*

[٧٣] ــ *المزهر ٢ /٤٠٩.*

[٧٤] ــ *عاش بين ٢٤٤ و٣٢٣هـ.*

[٧٥] ــ *التهذيب ١ /٣١.*

[٧٦] ــ *هو عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، صاحب العشرات من المؤلّفات في كلّ العلوم العربية والقرآنية، أشهرها المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تـ عام ٩١١هـ.*

ابـــــنُ دريـــــدٍ بقـــــرهْ وفيـــــه عِـــــيّ وشَـــــرَهْ
ويـــــدّعي مـــــن حمقـــــه وضْـــــعَ كتـــــاب الجمهـــــرهْ

وهو كتاب العين إلاّ أنّه قد غيّره

وقد تقرّر في علم الحديث أنّ كلام الأقران في بعضهم لا يقدح". (٧٧) وذكر أنّ من "بَرع مـن أصحاب أبي حاتم أبو بكر بن دريد الأزديّ، فهو الذي انتهى إليه علم لغة البصريين، وكـان أحفـظ الناس وأوسعهم علماً، وأقدرهم على شعر". (٧٨)

وكان لابن جنّي رأي في كتاب الجمهرة مخالف للسيوطيّ ويؤكّد رأي الأزهريّ جـاء فيـه قوله: "وأمّا كتاب الجمهرة ففيه أيضاً من اضطراب التصنيف وفساد التصريف ما أعذر واضعه فيه، لبعده عن معرفة هذا الأمر. ولمّا كتبته وقّعت في متونه وحواشيه جميعاً مـن التنبيـه علـى هـذه المواضع ما استحييت من كثرته، ثمّ لمّا طال عليّ أومأت إلـى بعضـه، وأضـربت ألبتّـة عـن بعضه". (٧٩)

ولم يسلم الجاحظ (٨٠) من هذا التجريح، فقال الأزهريّ: "أخبرني المنذريّ قـال: قـال أبـو العبّاس(٨١): كان الجاحظ كذّاباً على الله وعلى الرسول (ﷺ) وعلى آله وعلى الناس، وروي عن أبي عمرو (٨٢) أنّه جرى ذكر الجاحظ في مجلس أبي العبّاس أحمد بن يحيى فقال: أمسكوا عـن ذكـر الجاحظ، فإنّه غير ثقة ولا مأمون. قال أبو منصور: وعمرو بن بحر الجاحظ روى عن الثقات مـا ليس من كلامهم، وكان أوتي بَسْطة في لسانه وبياناً عذباً في خطابه ومجالاً واسعاً في فنونه، غيـر أنّ أهل العلم والمعرفة ذمّوه وعن الصدق دفعوه". (٨٣)

ولكنّ ابن جنّي يبيّن احترامه لمن سبقه من العلماء على خطئهم كما يذكر قوله في الجـاحظ: "ورحم الله أبا عثمان" (٨٤) وهاهو يثني على أولئك الذين طعن في علمهم حيث قال: "وهذا الأصمعيّ وهو صنّاجة الرواة والنقَلة، وإليه محطّ الأعباء والثّقَلة، ومنه تُجنى الفِقَر والمُلَح، وهو ريحانة كـلّ مغتبَق ومصطَبَح، كانت مشيخة القرّاء وأماثلهم تحضره، وهو حَدَثٌ، لأخذ قراءة نـافع (٨٥) عنـه..

(٧٧) ــ المزهر ١ /٩٣ و٩٤.
(٧٨) ــ المزهر ٢ /٤٠٩.
(٧٩) ــ الخصائص ٣ /٢٩١.
(٨٠) ــ هو عمرو بن بحر صاحب كتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان والبخلاء، توفّي في ٢٥٥هـ.
(٨١) ــ هو ثعلب كما هو ظاهر بعدُ.
(٨٢) ــ لعلّه أبو عمر الزاهد غلام ثعلب لأنّه لازمه وتعلّم عليه، تـ سنة ٣٤٥هـ.
(٨٣) ــ اللسان ٧ /٤٣٧. يراجع التهذيب ١/ ٣٠.
(٨٤) ــ الخصائص ١ /١٨٦.
(٨٥) ــ هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، أحد القرّاء السبعة، تـ بالمدينة سنة ١٦٩هـ.

فأمّا إسفاف من لا علم له، وقول من لا مُسْكة به: إنّ الأصمعيّ كان يزيد في كلام العرب، ويفعل كذا، ويقول كذا، فكلام معفوّ عنه، غير معبوء به، ولا منقوم من مثله... ويكفيك من ذا خُشنة أبي زيد وأبي عبيدة، وهذا أبو حاتم للأمس وما كان عليه من الجدّ والانهماك والعصمة الاستمساك. وقال لنا أبو عليّ ــ رحمه الله ــ يكاد يُعرف صدق أبي الحسن [٨٦] ضرورة.. هذا إلى ما يعرف عن عقل الكسائيّ وعفّته، وظلفه ونزاهته.. وحسبنا من هذا حديث سيبويه، وقد حطب بكتابه ــ هو ألف ورقة ــ علماً مبتكراً ووضعا متجاوزاً لما يسمع ويرى". [٨٧]

وفي مناسبة أخرى نجد طعناً آخر فحواه في لسان العرب إذ "قال أبو سعيد [٨٨]: وللعرب ألفاظ في هذا الباب لم يعرفها أبو عبيد، وهذه مشاحّة في اللّفظ واستخفاف بالعلماء، وأبو عبيد (رحمه الله) لم يخفَ عنه ذلك.. وليس هذا الانتقاد بشيء.. وهذا انحمال من أبي سعيد على أبي عبيد، والله أعلم". [٨٩] ويرى الأزهريّ أبا عبيد أنّه "كان ديِّناً فاضلاً عالماً أديباً فقيهاً صاحب سنّةٍ". [٩٠] وورد في الفهرست أنّه "كان ذا فضل ودين وسَتْر ومذهب حسنٍ". [٩١]

ويأتي دور ابن سيده ١٠ ليدلي بدلوه في هذا المحلّ بتدخلّه مصوّباً أخطاء لغويّة، فيقول: "وقال أبو حنيفة [٩٢]: التوقيف: عَقَب يُلْوى على القوس رَطْباً لِّيناً حتّى يصير كالَحلْقة، مشتقٌ من الوقف الذي هو السوار من العاج، هذه حكاية أبي حنيفة، جعل التوقيف اسما كالتمتين والتنبيت، قال ابن سيده: وأبو حنيفة لا يؤمن على هذا، إنمّا الصحيح أن يقول: التوقيف أن يلوى العَقَب على القوس رطباً حتّى يصير كالحلقة، فيعبِّر عن المصدر بالمصدر إلاّ أن يثبت أنّ أبا حنيفة ممّن يعرف مثل هذا، قال: وعندي أنّه ليس من أهل العلم ولذلك لا آمنه عليه وأحمله على الأوسع والأشيع". [٩٣] يريد أنّ الشرح ينبغي أن يكون المصدر يقابل المصدر أي التوقيف مع المصدر المؤوّل أن يلوى.

و"قال ابن سيده: فأمّا الشَّرْب فاسم لجمع شارب كرَكْب ورَجْل، وقيل: هو جمع، وأمّا الشُّروب عندي فجمع شارب كشاهد وشهود، وجعله ابن الأعرابيّ [٩٤] جمع شَرْب، قال: وهو خطأ، قال: وهذا ممّا يضيق عنه مجلس ابن الأعرابيّ: "وكان يحضره زهاء مئة إنسان، وكان يُسأل ويُقرأ عليه فيجيب من غير كتاب.. ولم يُر أحد في علم الشعر أغزر منه". [٩٥] وفي الحقيقة أنّ من كان بهذه

---

(٨٦) ــ هو الأخفش الأوسط.
(٨٧) ــ الخصائص ٣ /٣١٤ و٣١٥.
(٨٨) ــ هو أبو سعيد البغداديّ الضرير، لم تذكر وفاته. مقدمة التهذيب ١ /٢٤.
(٨٩) ــ نفسه.
(٩٠) ــ مقدمّة التهذيب ١ /٩١.
(٩١) ــ الفهرست ص ٣٢٢.
(٩٢) ــ ت ــ ١٥٠ هـ.
(٩٣) ــ اللسان ٩ /٣٦١.
(٩٤) ــ ت ــ ٢٣٠هـ وكان مولده ليلة وفاة أبي حنيفة ١٥٠هـ.
(٩٥) ــ الفهرست ص ٣١٣.

المنزلة لا يليق أن يستهان به.

وينتقد أبو حيّان النحويّ [٩٦] الزمخشريّ [٩٧] مدافعاً عن قراءة ابن عامر [٩٨]: "وأعجب لعجميّ ضعيف في النحو يردّ على عربيّ صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب". [٩٩] وفي مغني اللّبيب لابن هشام [١٠٠] رأي مناقض إذ جاء عنه ما يؤيّد الزمخشريّ ويضادّ أبا حيّان قال: "للبيانيّين في الاعتراض اصطلاحات مخالفة لاصطلاح النحويّين، والزمخشريّ يستعمل بعضها كقوله تعالى: ﴿ونحن له مسلمون﴾ [١٠١]: ويجوز أن يكون حالاً من فاعل (نعبد) أو من مفعوله لاشتمالها على ضميريهما، وأن تكون معطوفة على (نعبد) وأن تكون اعتراضيّة مؤكّدة، أي من حالنا أنّا مخلصون له التوحيد، ويردّ عليه مثل ذلك من لا يعرف هذا العلم كأبي حيّان توهّما منه أنّه لا اعتراض إلاّ ما يقوله النحوّي وهو الاعتراض بين شيئين متطالبين". [١٠٢] ففي هذا القول طعن صريح في أبي حيّان ودفاع عن الزمخشريّ.

ثانياً: مواقف بين الخوف والزيف:

يتمثّل هذا في سكوت العلماء بل وقوفهم موقف التبرير لأخطاء ارتكبها حكّام وأحجموا عن كشفها، إذ ذهبوا إلى إيجاد ما يمكن من تخريج يناسب الأمر إرضاء لهم، أو طمعاً في الرزق أو أحياناً خشية التعرّض لهجاء الشعراء أو ركوب صهوة الغرور والأنانيّة أو نزولاً عند الميول الشخصيّة التي كان لها الأثر البالغ في توسيع هوّة الخلافات النحويّة، حتى أضحى علم النحو تجارة مصنوعة معروضة للبيع لمن رغب فيما يريحه من مجابهات أو مماحلات أو صراعات.

فمن ذلك ما ورد من مداراة النحاة للشعراء الهجّائين كبشّار من برد [١٠٣] مع سيبويه وقيل مع الأخفش الذي بكى حينما توعّده لأنّه خاف من لسانه السليط، فأجبره على الاستشهاد بشعره. [١٠٤]

ومنه التقرّب من الحكّام على حساب العربيّة وخصائصها أو لتأثير المذاهب الفلسفيّة والفقهيّة

---

(٩٦) ــ أحد أعلام الأندلس يعرف بأبي حيّان النحويّ، صاحب البحر المحيط في تفسير القرآن، ونزهة الطرف في علم الصرف وغيرهما، تـ ٧٤٥هـ.

(٩٧) ــ هو أبو القاسم محمود بن عمر، من أشهر كتبه: الكشاف في تفسير القرآن، والمفصّل في علم العربيّة، ومعجم أساس البلاغة، تـ ٧٤٥هـ.

(٩٨) ــ وهو أحد القرّاء السبعة، تـ ١١٥هـ. الفهرست ص ١٤٥.

(٩٩) ــ المدرسة النحوية في مصر والشام ص ٣٣٧.

(١٠٠) ــ صاحب كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب وشذور الذهب وشرحه وقطر الندى وشرحه ونزهة الطرف في علم الصرف وغيرها، تـ ٧٦١هـ.

(١٠١) ــ سورة البقرة، من الآية: ١٣٣.

(١٠٢) ــ مغني اللبيب ٢ /٤٠.

(١٠٣) ــ شاعر ضرير عاش ما بين ٩٥ و١٥٩هـ.

(١٠٤) ــ يراجع الأغاني ٣ /٥٤ ورسالة الغفران ص ١٨٣.

إلى درجة التعصّب لها مثل شأن ابن مضاء القرطبيّ [١٠٥] الذي "لم يقم بهدم نظريّة العامل في الإعراب حبّاً في اللّغة أو إخلاصاً للنحو، ولكنّه كان يريد من ذلك التودّد إلى كبار ساسة الدولة. فما داموا هم مناقضين للفقه المشرقيّ، فليهدم هو الأداة التي تعين على فهم هذا المذهب، وليهدم كلّ ما كان على نسق هذا الفقه ومنهجه" [١٠٦]. وذلك باستغلال منصبه لأنّه "كان قاضي القضاة في عهد يعقوب بن يوسف، وقد رأى تعصّبه للظاهريّة ضدّ أصحاب المذاهب والفروع، لذلك فإنّه جريا على سنن الدولة أو نفاقاً لسيّده يوسف ثار على التفريع والتأويل في النحو وحاول تطبيق المذهب الظاهريّ على النحو". [١٠٧] وهذا طبعاً رأي أحد باحثي القرن العشرين الذي أشار إلى بعض أسباب تلك الخلافات منها: الخلافات المذهبيّة والأهواء الشخصيّة وطلب الرزق وإقصاء اللهجات الأخرى.[١٠٨]

ويروى أنّ أحد الأمراء[١٠٩] لحن في قوله تعالى: ﴿إنَّ الله وملائكته يصلّون على النبيّ﴾ [١١٠] برفع (ملائكته) ولم يرجع عن خطئه، فاستشار النحاة في الأمر ليخرّجوا له ما يخرجه من الورطة، فاستعملوا ذكاءهم في التأويل على تصويب الرفع وكان ذلك على أساس عطف (وملائكته) على موضع (الله) وهو الرفع [١١١]، وهو في الحقيقة ما يسمّى علّة التوهّم أو التقدير عند الكثير من النحاة. وما ذكره ثعلب عن أستاذه ابن أبي قادم [١١٢] أنّه قال: "كتب فلان إلى المأمون كتاباً فيه: وهذا المال مالاً من ماله كذا، فكتب إليه: أتكاتبني بكاتب يلحن في كلامه؟ فقال: ما لحنتُ، وما هو إلا صواب. قال ابن قادم: فدعاني المأمون، فلمّا أردت الدخول عليه قال لي: ما تقول لأمير المؤمنين إذا سألك؟ قلت: أقول له: الوجه ما قال أمير المؤمنين، وهذا جائز". [١١٣] وهو أنّ (مالا) في هذا الكتاب ترفع أصلاً، ونصبها جائز، وذلك ما رآه المأمون لحناً ولم يقبله.

٣. شهادات واعترافات:

غير أنّه يجب ذكر ما يكون من ألطف المواقف من العلماء المتواضعين كالخليل بن أحمد الفراهيديّ الذي لم يتجرّأ أحد على الطعن فيه لما عرف عنه من علم ومكانة، وعن أبي الطيّب

---

[١٠٥] ــ من أعلام الأندلس، صاحب كتاب الردّ على النحاة، تـ ٥٩٢هـ.
[١٠٦] ــ ظاهرة الإعراب في النحو العربيّ وتطبيقها في القرآن الكريم ص ١٠٨.
[١٠٧] ــ المرجع نفسه.
[١٠٨] ــ وهو الدكتور أحمد سليمان ياقوت، يراجع كتاب ظاهرة الإعراب ص ١٠٧ وما بعدها.
[١٠٩] ــ هو محمد بن سليم أمير البصرة.
[١١٠] ــ سورة الأحزاب من الآية ٥٦.
[١١١] ــ يراجع مجالس العلماء للزجّاجي ص ٥٤.
[١١٢] ــ هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله النحوي الكوفي.
[١١٣] ــ مجالس ثعلب ١ /١٢.

اللّغوي أنّه "لم يكن قبله ولا بعد مثله، وكان أعلم الناس وأذكاهم، وأفضل الناس وأتقاهم". [١١٤] ويورد ابن جنّي عنه أنّه كان يعلّم الأصمعيّ شيئاً من علم العروض فعجز عن الإدراك السريع قال: "وقد كان أراده الأصمعيّ على أن يعلّمه العروض فتعذّر ذلك على الأصمعيّ وبُعد عنه، فيئس الخليل منه فقال له: يا أبا سعيد، كيف تقطّع قول الشاعر: [١١٥]

إذا لم تستطع شيئاً فدعْه وجاوزه إلى ما تستطيع

قال: فعلم الأصمعيّ أنّ الخليل قد تأذّى ببعده عن علم العروض فلم يعاوده فيه". [١١٦]

وأورد أيضاً شهادة عن أستاذه فقال: "وهذا أبو عليّ، رحمه الله، كأنّه بَعْدُ معنا، ولم تَبِنْ به الحال عنّا، كان من تحوّبه وتأنيّه، وتحرّجه كثير التوقّف فيما يحكيه، دائم الاستظهار لإيراد ما يرويه. فكان تارة يقول: أنشدت لجرير [١١٧] فيما أحسب، وأخرى:

قال لي أبو بكر فيما أظنّ، وأخرى: في غالب ظنّي كذا، وأرى أنّي قد سمعت كذا". [١١٨]

وذلك تواضع منه كبير وليس نوعاً من العجز.

ومن المواقف الجديرة بالاحترام اعتذار المبرّد عن تتبّع عثرات سيبويه وفق ما يرويه ابن جنّي قال: "وحدّثنا أبو عليّ عن أبي بكر عن أبي العبّاس أنّه قال: إنّ هذا كتاب كنّا عملناه في أوان الشبيبة والحداثة، واعتذر أبو العبّاس منه"[١١٩] وهو إقرار صريح بالتراجع عن الموقف غير المناسب في الوقت المناسب سجّله له تاريخ اللغة العربيّة.

تلك كانت بعض النقول التي قد تضيء بعض الشيء سبيل التفكير عند مصادفة مثل هذه الآراء والمواقف، حتّى لا يتسرّع الباحث في إصدار الأحكام بناء واستناداً إليها كونها ناتجة من رواد العلوم العربيّة، يسلّم لهم من يرى فيهم النبوغ المنقطع النظير أو الأسبقيّة في التعلّم والتحصيل المعرفيّ والموسوعيّة فيهما، قد يسيطر أحدهم على أفكار الكثير ممّن جاء بعدهم حتّى سبق أن صرّح أحدهم بالقول: "ما أضرّ على الناس شيء من قولهم: ما ترك الأوّل للآخر شيئاً". [١٢٠]

****

(١١٤) ــ المزهر ٢ /٤٠١.
(١١٥) ــ يبدو أنّه الخليل نفسه.
(١١٦) ــ الخصائص ١ /٣٦٣.
(١١٧) ــ هو شاعر أمويّ توفّي سنة ١١٠هـ. الأعلام ٢/ ١١٩.
(١١٨) ــ الخصائص ٣ /٣١٦.
(١١٩) ــ المصدر نفسه ٢٩٠.
(١٢٠) ــ الخصائص ١ /١٩٢، والقول منسوب إلى الجاحظ (تـ ٢٥٥هـ).

المصادر والمراجع:

١ــ القرآن الكريم.

٢ــ الأعلام للزركليّ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط. ٥، ١٩٩٠.

٣ــ الأغاني للأصبهاني، تحقيق لجنة من الأدباء، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط. ٦، ١٩٨٦م.

٤ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابلي وشركاه، ١٩٦٤م.

٥ــ تهذيب اللغة الأزهري، تحقيق مجموعة من أساتذة.

٦ــ الخصائص لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. ٤، ١٩٩٩م.

٧ــ الشعر والشعراء لابن قتيبة، دار الثقافة، بيروت.

٨ــ الفهرست لابن النديم، تحقيق مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٥م.

٩ــ لسان العرب لابن منظور، دار صادر، دار المعارف، ط. ٩، ١٩٩٤م.

١٠ــ مجالس ثعلب، شرح وتحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، ط. ٥.

١١ــ مجالس العلماء للزجّاجيّ، تحقيق عبد السلام هارون، الكويت، ١٩٦٢م.

١٢ــ المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، شرح وتعليق محمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية ومطبعة دار الفكر، صيدا، لبنان، ١٩٨٧م.

١٣ــ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، تحقيق حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط.١، ١٩٧٠.

KKK